

الأغنية السياسية والنشيد الوطني في الموسيقى العربية

وجب الشكر علينا
ايها المبعوث فينا
وكذلك ما تفتت به فتيات فريش خلف المشركين المحاربين فسي
غزوة احد في السنة الثالثة للهجرة تبعت فيهم الحماس ويقال ان
هذه الاغنية مورثة من العهد الجاهلي ومطلعها :
نحن بنات طارق نمشي على النمارق
ان تقدموا نصائق او تحجموا نفارق
فراق غير وامق

ثم ان كتاب الاغاني يحكي لنا عدة قصص لعبت فيها الاغنية دورا
سياسيا هاما فهذا المغني طويس يوقد ما خمد من نار حرب الاوس
والخزرج بالاغنية التي تختم ب :

رد الخليط الجمال فانصرفوا ماذا عليهم لو انهم وقفوا
فاجرى بينهم النداء ويخرج المغني سالما من كل سوء .
وهذا سائب خاثر يستعمل لحن استاذة نشيط الفارسي فسي
كلمات سيدنان حسان بن ثابت في غنائه لفرض سياسي :

لنا الجففات الفر يلعبن في الضحى
واسيافنا يقطنن من نجدة دما
واحتلت الاغنية السياسية مكانة مرموقة عند انتصاب الدولة
العباسية ونورد من بين امثلتها العديدة اغنية ابراهيم الموصلي لتهنئة
هارون الرشيد بتوليته الحكم :

الم تر ان الشمس كانت مريضة
فلما ولي هارون اشرق نورها
فالبست الدنيا جمالا بوجهه
فهارون واليها ويحي وزيرها

فاجازه الخليفة بجزيل العطايا رغم ضعف الشعر الملحن .
ومن الاغاني السياسية تلك التي بز بها ابن جامع زميليه ابراهيم
الموصلي ومخارق وهي التي انشدها بين يدي الخليفة هارون الرشيد
عند فتحه لهرقلة وهي تصف لنا السلاح الذي استعمل في هذه
المناسبة :

كان نيراننا في جنب قلعتهم مصيفات على ارسان قصار
هوت هرقله لما ان رأت عجا حواتما ترتمي بالنفط والنار
ويستقوط الدولة العباسية ظهرت بوادر الانهيار في السياسة
واختار المغنون البعد عن الاغاني السياسية اذ لو تناولوها لاضطروا

انه من الصعب جدا ان نفكك بين الانتاج الموسيقي الخالي من
الكلمات والذي يعبر عنه في الكتب القديمة « بالموسيقى المحضة » او
« الفارغات » ويسميه بعضهم الان موسيقى صامتة وبين الغناء في
شتى اغراضه ومشاربه ويعسر على التنصيح للتراث الموسيقي العربي
ان يجد اناشيد وطنية في اي عصر من العصور قبل التقسيم الذي
ادخله الاستعمار على وطننا العربي ليصنع منه كتلات صغيرة سهلة
الاستثمار والذوبان في الثقافات الغريبة عنها .

والمعروف عن اغانيها انها لم تتناول سوى الخمريات والغزل وشيء
من الوصف في اسلوب يبعث على الخنوع والضعف والاستسلام فهذا
الشيخ السيد الصفدي يسجل لنا :

تدلل لمن تهوى فليس الهوى سهل
ففي حبه يحلو التهتك والذل
وهذا الشيخ سلامة حجازي الذي يعتبر من رواد المسرح الغنائي
يسجل :

سمحت بارسال الدموع محاجري
لما تزايد في التجني هاجري
وهذا الشيخ يوسف المنيلاوي يسجل بدوره :
الله يعلم ان النفس قد سلكت
بالياس منك ولكني امنيتها
وهذا الموشح الاندلسي الذي يعني حتى الان يقول :
جواز من الربيع ثيابك ارهن وبيع

فالاغنية عديدا لهذه المعاني التي لا تخلو من طرافة وجمال ورقة
حاشية ولكن انفرادها في البرامج الفنية دون سواها ينمي في الشباب
الركود والاستسلام والتذلل وعدم الشعور بالمسؤولية .

وقد وجدنا في كتب الادب والتاريخ امثلة عديدة للاغاني
السياسية سواء للتثوية بالمعارك التي خاضتها الجيوش الاسلامية او
لابراز مبنية معينة او لاعلاء شأن قائد منتصر ونسوق لذلك بعض
الامثلة :

لعل من ابرز هذه الاغاني تلك التي ارتبطت بشعور كل مسلم
مثل التي استقبلت بها بنات النجار الرسول الاعظم صلى الله عليه
وسلم بمناسبة الهجرة عند وصوله للمكان المعروف بثنية الوداع من
المدينة المنورة :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

الى مدح الحكام الاجانب الذين اصبح العديد من البلدان العربية تحت سلطتهم ، والفناء تعبير صادق لا يمكن ان يصدر الا من اعماق القلب .

ولدى مراجعتنا للتسجيل القديمة لم نجد فيها سوى بعض القطع التي تمت للسياسة بصلة منها ما سجلته شركة بيضافون للمطرب المر :

يا بلادي يا بلادي
كل حب في فؤادي
الى ان يقول :
يا جبالي ووهادي
انت فوزي في جهادي

ومنها ايضا نشيد البرلمان للمطرب المصري الكبير المرحوم الشيخ يوسف المنيلاوي الذي سجلته شركة قرامفون :

وطني انا بالروح اقدية
تعيش مصر حرة
تعيش مستقلة يحي الملك
يعيش سعد باشا يحي الوطن
البرمان للمجد سبيل
ما يسلكه غير كل همام
شرب الوفاء من ماء النيل

وبعد الحركات الإصلاحية وانطلاق الشعب العربي من سباته ودخوله في الحركات التحريرية بدأت نهضة طيبة في انتاج الاناشيد الوطنية والاغاني السياسية سواء بالعربية الفصحى او باللهجات العامية وقد تعثر الملحنون في الخطوات الاولى اذ ظهر في العديد من هذه القطع شيء من ميوعة التلحين جعلنا نكاد لا نفرق بين تلحينها وتلحين الاغاني الغزلية من حيث ادخال جو الطرب عليها .

والطور الثاني من تلحين الاناشيد الوطنية والاغاني السياسية كان مجرد تقليد لموسيقى السيرات الاوربية بحيث اقتصر الموسيقيون في هذا الانتاج على مقامي الكبير والصغير اللذين اقتصت بهما الموسيقى الغربية وتسربت هذه العاهة الى الاناشيد المدرسية وصار بعض المشرفين على التربية الموسيقية يعتقدون انه لا يجوز ولا يمكن تلحين الاناشيد على غير هذين المقامين وعلى ايقاع غير ايقاع الخطوة - وكنا بهذا المركب الذي اصاب الوسط الفني نفقد شخصيتنا العربية وندمج جيلنا الصاعد في ثقافة غير ثقافته فنجعل منه عنصرا منتكرا لشخصيته فاطما الصلة مع الجيل الذي سبقه .

وهو بذلك معذور لانه يشعر بضرورة التخلص من الركود والميوعة التي تسلطت حتى على بعض الاناشيد الوطنية الرسمية ولا يجد امامه الا بابا واحدا يرميه في هوة اعظم خطورة .
وعسى ان تراه شيئا وهو خير لكم .

وقد خدمت الظروف السياسية بواسطة الاحزاب ومنظمات الشباب المختلفة وخاصة الاداعات قضية النشيد فسخر العدد الكبير من الملحنين الذين يجندون لكل مناسبة حرجة فتوضع الابواق على ذمتهم للاصداع باصواتهم المدوية في قوالب موسيقية مختلفة وهكذا طلع فجر جديد للتلحين الحماسي طبقت فيه المقامات والايقاعات العربية ، فهي بداية طيبة علينا بمواصلتها وتوسيعها للاغاني المدرسية واغاني مختلف هيئات العمال والشباب .

وقبل تقديم العنصر الثاني من الحاضرة والمتعلق بالموسيقى السياسية يجدر بنا ان نتعرض لبعض الاناشيد التي اشتهرت في بعض الاقطار العربية على سبيل المثال .

لقد تبنت الحركة الوطنية في تونس سنة ١٩٢٤ نشيد مصطفى صادق الرافعي وجعلته ريقها في الكفاح الى الاستقلال وهي تتقد من ناره لمواصلة الجهاد الاكبر :

حماة الحمى يا حماة الحمى
لقد صرخت في العروق الدما
هلموا هلموا لمجد الوطن
نموت نومت ويحي الوطن
كما اعتمد طلبة شمال افريقيا عند تأسيسهم للمكتب الموحد بين المغرب والجزائر وتونس بباريس على نشيد من العنان الشيخ سيد درويش من رواية (كليوباترا) (حيوا روما) فابقوا على اللحن وغيروا الكلمات التي صارت :

حيوا افريقيا
شمالها يبغي الاتحاد
حيوا افريقيا يا عباد
اشبالها تآبى الاضطهاد
وظهرت عدة اناشيد في كل قطر عربي نذكر منها نماذج من تونس : نشيد عيد العروبة من تاليف الشيخ الطاهر القصار :
يا عرب يا عرب
يا عرب يا عرب
انتم للقلب والحجي والادب ...
يا عرب يا عرب
يا شبابا قد تسامى
نحو ادراك المعالي
كسر القييد وسارع

والناحية الاخرى من الموسيقى السياسية تتمثل في فرق العزف التي تنعم هيبة الحكم وتبعث الحماس في الجيوش واكتسبت بذلك طابعا عسكريا بحتا - واذا ما ربطنا بين ما جاء في مقدمة ابن خلدون من تحاشي الجيوش الاسلامية في عهدها الاولى استعمال الطبول وبين ما يذكره ابو الفرج الاصفهاني من ظهور النوبة العسكرية في العصر العباسي الثالث يمكننا الجزم بانها اخذت مكانتها الرسمية في هذا العصر الاخير .

وقد سميت بالنوبة لقيامها بالعزف اثناء فترات معينة من اليوم امام دار الخلافة فيقال هذه نوبة الصباح وهذه نوبة العصر .

وقد كانت متركبة من خمسة عازفين وخاصة بهراسم الخلافة ثم منحها الطابع في القرن الرابع الهجري ، العاشر ميلادي لوزرائه ، وجعلها تتركب لذلك من ثلاثة عازفين فقط .

ثم تفتح الخليفة القادر وسمح ان تكون خماسية لوزرائه وللسلاطين باعتبارهم يمثلون الخليفة في مناطقهم ولكن تصبح ثلاثية عندما تعزف لهم بعاصمة الخلافة .

والمعروف ان هذه الموسيقى استعملت في الاندلس وفي المغرب العربي حيث يذكر المقرئ غرف الابواق للخلفاء واحتفاظ الموحدون بالطبول للولاية كما يذكر ابن خلدون اندماج الموسيقيين العسكريين مع حاملي اللواء في الجيش الاسلامي .

وقد تطورت هذه الموسيقى بتطور الجيوش الاسلامية ودخلت الاقطار التي فتحتها هذه الجيوش الى ان دخلت اوربا بواسطة « الطلبة » « خانة او طبل الباشا » التي رافقت الجيش العثماني وخلفت اثرها هناك سواء في المقامات او الايقاعات او حتى الآلات حيث اخذت الزرنة عن هذه الفرق وبقيت مستعملة حتى الان في البلقان وطورتها الاقطار الاوربية الاخرى واخرجت منها الآلة المعروفة « بالابوا » التي تمكنت من الدخول في الاركستر السمفوني .

وبعد النهضة العسكرية في مختلف الاقطار العربية اسست فرق موسيقية على الطريقة الغربية زاحمت طبل الباشا ثم احتلت مكانه وانطلقت هذه الفرق في المشرق والمغرب تعزف قطعاً من التراث التقليدي عن روية حيث عزفت المقامات التي تلائمها .

وقام جمع من المؤلفين الموسيقيين بانتاج قطع خاصة لهذه الفرق اغلبها في شكل مسيرات راغوا فيها امكانية الآلات المستعملة وادخلوا عليها شيئا من توافق الاصوات بقدر لا يغير من طابعها العربي .

علينا الان بمواصلة الجهد في هذا الميدان بانتاج عدد كبير من القطع الخاصة مع العمل على تنويعها حتى يصبح لهذه الفرق المعروفة الان بالنحاسية برنامج مستقل عن الفرق التوتيرية . ويمكننا ان ننتقي

الحال بأنه لم يتوصل الى فهم ما عرض عليه وفي ذلك اعتراف
بنقصه واعتبار للمنتج المجدد .

علينا حينئذ بتربية ذوق الشباب على اساس يتفتح به الى كل
تجديد مع الحفاظ على تقاليده واصالته والكثير من الشعوب الغربية
تجمعت فيهم النزعتان معا ولم يمس ذلك من تقدمهم العلمي والفني
والاجتماعي .

ففي وجود هاتين النزعتين ضمان للحفاظ على الشخصية
وللتطلع لما يتماشى مع ناموس التطور .

ان مجهودا كبيرا يبذل في اغلب الاذاعات لتغيير مواضيع
الاغاني فهذه تركزت على التعريف بالبلدان والاخرى على حب والدين
والثالثة على الانتاج الصناعي . الخ فهو عمل مهم جدا ولكن لا بد
من تمييزه بانتاج موسيقي خال من الكلمات يتركز على الوصف او
ابراز براعة العازفين ندخله في برامج الاذاعات ونخصص له مكانا
مناسبا في الحفلات العمومية يتوسع شيئا فشيئا الى ان نفرد لهذه
القطع حفلات خاصة ليتعود الجمهور على استعمال العقل عند استماعه
للغناء والموسيقى .

وبذلك يكون الموسيقيون قد ساهموا بقسطهم في بناء السلوك
العربي الجديد الذي يحافظ على العاطفة التي نمتز بها وقد اخذت
تنقلص من العالم الغربي بما ينذر بتفكك الاسرة ، ويطغي جانبا هاما
للعقل في تدبير الامور لاعطائها الوزن الذي تستحقه .

صالح المهدي

رئيس المجمع العربي للموسيقى بتونس

لها قطعا من التراث من المقامات التي لا تشتمل الا على الدرجات
وانصافها ليصبح لها ادائها وقد اجرينا في ذلك تجربة بتونس مع
فرق الجيش والامن والفرق الشعبية التي اصبح عددها ينماز
السبعين تتلخص في مد هذه الفرق كل سنة بقطع جديدة نحاسبها
على تطبيقها في المباراة القومية التي تجري بينها كل سنة كما شجعنا
مسؤوليها على الانتاج المركز وهكذا اخذت هذه الفرق في تكوين
برنامج لها روعيت فيه القواعد والذوق .

هذه لمحة عابرة عن النشيد الوطني والاغنية والموسيقى السياسية
في البلاد العربية - ويظهر لي انه لا يكفي ان تكون لنا فرق للموسيقى
النحاسية واناثيد وطنية يرتبط اغلبها بمناسبات يسجلها المطربون
والفرق وينزعونها في باب الاستوديو كما ان الجمهور اذا ما بثت له
هذه القطع يتحول في الغالب بجهازه الى اذاعات اخرى للبحث عن
الغناء الفني الذي تعلق به واصبح لا يقبل سواه .

ان جمهورنا ميال الى الغناء دون الموسيقى وفي ذلك يبحث عن
كلمات وموسيقى ارتبطت بوجدانه واحساسه الذي ورثه عن الاجداد .
وقد تعودنا الاستماع الى الاغاني ولا نحكم عليها الا بمدى اقترابها
من التراث القديم او بما ارتبطت لدينا بذكريات الشباب . وهكذا
نجد كل جيل منا ميالا الى القطع التي استمع اليها في شبابه وينتقد
موسيقى الجيل الصاعد ويعتبرها مخالفة للذوق السليم .

وفي رأيي ان احسن تعبير عن هذه الظاهرة الخطيرة هو تسمية
التراث التقليدي في تونس « بالمالوف » فنحن جميعا ميالون للمالوف
وما عدا ذلك نعتبره خطأ لا وزن له ولا قيمة .

فالاستمع العربي اذا ما عرضت عليه قطع في تراكيب غير مالوفة
لديه يرميها بالخطأ والنشاز بينما الاستمع الغربي يجب في هذه

صيادون في شارع ضيق

رواية بقلم

جبرا ابراهيم جبرا

« صيادون في شارع ضيق » رواية من نوع آخر . فهي « رواية افكار وشخصيات » بالدرجة الاولى ، كما
قال عنها المستشرق الانكليزي ديس جونسون ديفز . ولكن الاهمية في « صيادون » متأية من تصوير
الشخصيات ومن تقديم الافكار والمواقف . والشيء الذي يجعل « صيادون » عملا ادبيا بارعا هو قدرة
الكاتب على تكديس جميع هذه الشخصيات والافكار والمواقف في بوتقة صغيرة وجعلها تتحرك في مختلف
الاتجاهات ، رغم ان واحدا من هذه الشخصيات لا يشبه الاخر شيئا كاملا . اما كيف ينتقل الكاتب من
فكرة الى اخرى من دون ما علاقة ظاهرة ، فذلك دليل اخر على براعته .

الدكتور عبدالواحد الولاة

صدر حديثا